اباًنا اسلافنا على امّة طريقة مسلوكة وانا على اثارهم مهتدون
اى صحوا فيه الى تقليد اباًيهم الجهلة وكذلك ومثل هذه الحالة ما ارسلنا
من قبلك من قرية من نذير الا قال مترفوها متنعموها انا وجدنا
اباًنا على امّة وانا على اثارهم مقتدون وتخصيص المترفين اشعار
بان التنعم وحبّ البطالة صرفهم عن النظر فى الدلالة الى تقليد ارباب
الضلالة واصحاب الجهالة وايما الى ان غالب المومنين كانوا فقرا وعلما
فى كلّ وقت وحين قالوا اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباًكم
اى اتتبعون اهواكم وتقلدون اباكم ولو جئتكم باهدى من دين قدمايكم
وهو حكاية امر ماض اوحى الى كلّ نذير ويؤيده انه قرأ ابن عامر وحفص قال
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون وان كان هذا اقناطًا للنذير من ان
ينظروا ويتفكروا به فانتقمنا منهم باستيصالهم فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين اى سوء احوالهم وقبح مآلهم قال ابو عثمان علامة انتقام
الله من عباده ان يحرّكهم فى ميدان الغفلة ولا يحملهم على مدارج الذكر
ومعارج الفكر ورياض القدس وحياض الانس واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه اننى براء اى برى وقرى به مما تعبدون اى من عبادتكم او الهتكم
والمعنى واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرا عن التقليد حين تولى التوفيق
بالتحقيق والتأييد الا الذى فطرنى اى لكن الذى خلقنى ابتداً فانه
سيهدين اى ماورآ ما هدانى اليه انتهى وجعلها اى وجعل الله كلمة
التوحيد كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدًا من يوحّد الله
ويدعوا الى ملته لعلهم يرجعون اى من اشرك منهم حين ظهور حجته
بل متّعت هؤلا الكفار المعاصرين للرسول المختار واباهم المدّ فى العمر
وانواع النعمة فاغتروا بذلك وانهكوا فى اصناف الشهوة حتى جاءهم
الحق دعوته ورسول مبين ليُنبّههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون

زادوا

زادوا فى شرارتهم باظهار معاندتهم فسموا القران سحرًا وصرّحوا به كفرًا
واستحقروا بالرسول فقرا وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين اى من احداهما مكة والطايف عظيم بالجاه والمال كالوليد
ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لا يليق
الا بعظيم ولم يعلموا ان الرتبة الروحانية تستدعى عظمة النفس بالتحلى
بالفضايل الانسية والشمايل القدسية لا التزخرف بالزخارف
الدنيوية أهم يقسمون رحمت ربك اى نبوته التى هى اعلا مراتب اهل
العقبى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وهم عاجزون
عن تدبيرها ومتحيرون فى تقديرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم
فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التى هى اعلا المراتب فى دنياهم
واخراهم قال بعضهم لم يترك قسمة معاش الدنيا بالعبد مع خسّته
وكفايته فكيف يترك قسمة الرحمة بالعبد مع شرافته ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات اوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ليتخذ
بعضهم بعضًا سخريًا ليستعمل بعضهم بعضًا فى حوايجهم فيحصل بذلك
تالف ينتظم بذلك نظام اعمالهم واحوالهم لا بكمال فى الموسع عليه
ولا النقص فى المضيق عليه ثمّ الاعتراض لهم علينا فى ذلك فكيف يكون فيما
هو اعلا من هنالك ورحمت ربك يعنى النبوة وما يتبعها من الايمان
والمعرفة خير مما يجمعون من حطام الدنيا وزخرفها المموهة فالعظيم
من يرزق من الرحمة الخاصّة لا من النعمة العامّة قال ابن عطا اعتذار
من الله لانبيايه واوليايه لم يَذُد عنهم الدنيا الا لانها لا خطر لها ولا
قدر عنده فيها وانها فانية فآثر لهم العقبى التى هى باقية انتهى ويؤيده
ما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما
سقى منها كافرًا شربة ماء وافاد الاستاد ان الاشارة من هذه العبارة ان

Copyright © King Saud University